صوت المرأة المسلمة

العدد : ١٩١ الموافق في صفر ١٤١٨ هجري ٧ / ١٩٩٧ ميلادي

عنوان المقال : موعد مع السعادة	بقلم : زينب مصطفى

السعادة هي حلم البشر الخالد ، وأملهم الجميل الذي يصحبهم في رحلة حياتهم ، ولا يكاد أحد من الناس يتخلى عن حلمه الفريد بحياة سعيدة. ويشتد السعي لتحقيق الأمل ، وتتشعب الخطى في دروب البحث عن السعادة ، ويضل الكثيرون الطريق إليها حين ينشدونها في غير موضعها فلا يجدون غير السراب ، ومازال البشر يبحثون وسيظلون يتساءلون : أين السعادة ؟!

ومنذ أن أكرم الله تعالى الإنسانية برسالة الإسلام تحددت وجهته الصائبة في الحياة ، وصُفي له النبع الثر الذي يستقي منه رحيق الهدى... فكان موعده مع السعادة.

وأسباب السعادة في إسلامنا العظيم واضحة خالدة ، تمثلت في كتاب الله تعالى المحفوظ من التبديل والتحريف ، والسنة النبوية الشريفة والسيرة العطرة ، بهما سَلِم للمسلمين منهجهم الخالد ، ووضعت بين أيديهم مفاتيح السعادة.

عرفت الأمة الإسلامية السعادة واقعاً جميلاً ونبعاً حياً عندما طبقت شرع الله ، وعاشت الإسلام العظيم ديناً ودولة ، خلقاً وقوة ، رحمة وعدالة ، ثقافة وقانوناً ، جهاداً ودعوة. وأثمر العمل بالمنهج الخالد ثماراً رائعة ، أثمر الإنسان الصالح المنتج ، والمجتمع الصالح المتآلف ، وأثمر حضارة زاهرة أضاءت العالم حيناً من الزمان ، وعواملُ عودتها للعطاء ماثلة بين أيدي أبناء الأمة حين يشمرون للعمل والبذل. في عصور ازدهار الإسلام كان من أسباب سعادة المجتمعات حكام أوفياء لربهم ، رحماء بشعوبهم ، أقاموا الشرع وحققوا العدل ، ووضعوا أنفسهم موضع الخادم الأمين لأمتهم.

ولن ينسى التاريخ ذلك الموقف المعلم لسيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ؛ أخرج الطبراني عن إياس بن سلمة عن أبيه قال : « مر عمر بن الخطاب في السوق ومعه الدرة فخفقني بها خفقة فأصابت طرف ثوبي فقال : أمط عن الطريق. فلما كان في العام المقبل لقيني فأخذ بيدي فانطلق بي إلى منزله فأعطاني ست مائة درهم وقال : استعن بها في حجك واعلم أنها بالخفقة التي خفقتك بها.

قلت : يا أمير المؤمنين ما ذكرتها.

قال : ما نسيتها ! ».

لم ينس سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ تلك الخفقة التي أصابت طرف ثوب أحد المسلمين ، لم ينسها رغم مسؤوليات الخلافة الضخام وأعباء الجهاد والفتوح الجسام ، لكنها الرسالة وروح الشريعة السمحة

التي كللت سلوك عمر كجاكم عادل.

ولم يكن أفراد المجتمع بأقل روعة وجمالاً في الالتزام بشرع الله والوقوف عند حدوده ، وسلوك المسلك الأرقى في اليسر والعسر ، ففي محنة الإفك التي هزت المدينة شهراً كاملاً قبل أن ينزل الوحي ببراءة الطاهرة المطهرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، كانت الأخلاقيات الرفيعة للمسلمين والمسلمات صمام أمان ضد الفتنة الطاغية. فهذه أم المؤمنين زينب بنت جحش تشهد شهادة حق وتقول : « أعمي سمعي وبصري ، لم أعلم إلا خيراً » ، والخادم الصغيرة ، تقول عن عائشة : ما رأيت ما يريبني غير أنها فتاة صغيرة تنام عن عجين أهلها فتأكله الدواجن ، ويرتقي أبو أيوب الأنصاري وزوجه أم أيوب ذرى الأدب وحسن الظن ، عندما يقرران أن عائشة وصفوان رضي الله عنهما أفضل منهما.

فكان الخلق الرفيع الذي هو ثمرة الالتزام بشرع الله ، عصمة من الفتن وبلسماً شافياً من جراحها ، لقد خلد موقف سيدنا ثمامة بن أثال الصحابي الجليل ﷺ معاني الطاعة والوفاء لشرع الله فقد كان قبل إسلامه يرتبط بعلاقات تجارية وثيقة بقريش فكان يصدر لهم الحنطة من اليمامة فلما أن شرح الله صدره للإسلام ، أرسل ﷺ إلى قريش قائلاً : « لا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن رسول الله ﷺ ».

لقد اعتدلت موازين سيدنا ثمامة وتحددت مواقفه التزاماً بشرع الله فكان موعده مع الهدى والسعادة.

إن المسلمات اليوم في الشرق والغرب مدعوات لتقديم السلوك الأرقى والنموذج الأعلى للمسلمة الملتزمة بشرع الله ، المنتجة لمجتمعها وللإنسانية الإنتاج العظيم من ارتياد مجالات العلم العديدة وتربية أجيال واعدة بعودة أمة الشهادة والشهود ، فالسعادة حقيقة خالدة تصفها يدا العلم والإيمان.

❋ الأخت زينب مصطفى محامية وكاتبة من مصر تقيم في بريطانيا